عمارة

مجلة معمارية فصلية

IMARA, Architectural Quarterly

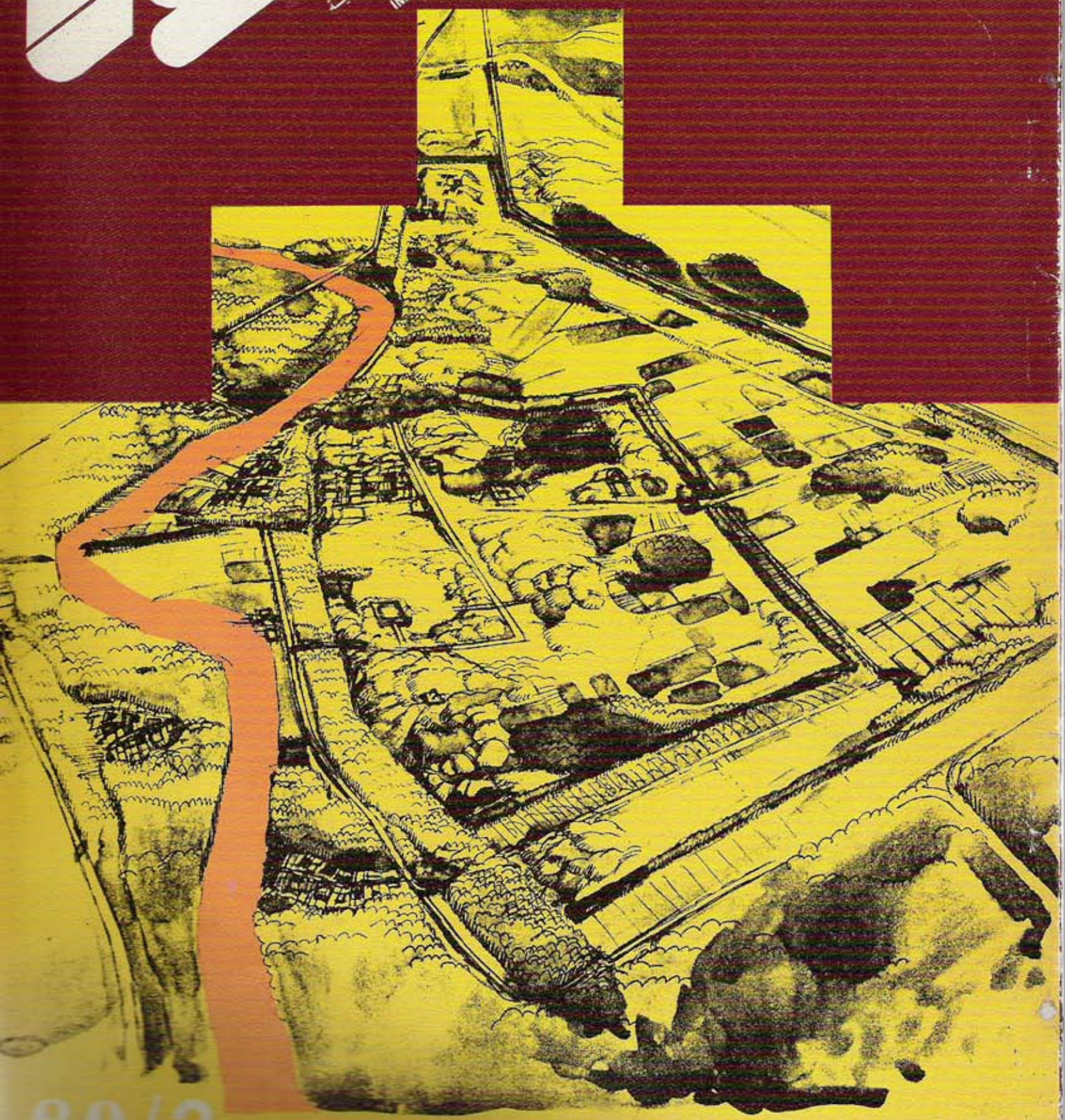

89/3

داران لمعمار واحد

تدخل الى عالم موصد خاص، دار لها معمارها وصاحبها ، تقتحم حرمتها وتفاجيء شاغليها في لحظة استثنائية تكتشف فيها بفضول الدخيل اسرار المكان، تتلصص على حياة سكانه، تتحلق ضيفا، فشاهدا، فشريكا في ايقاع تلك الحياة.

ترى هذا ما يبتغيه المعمار من تجربته التي انصبت في تصميمه لداره الاخيرة وبعد مسافة ما يزيد عن ربع قرن من الممارسة المهنية، انه شيء قليل وكثير في آن. في الواقع ان التجربة التصميمية للدار الاولى للمعمار نفسه قد خلفت في هذه المحاولة الجديدة العديد من التأثيرات والاسقاطات لتتداخل مع رؤية متجددة خليقة باثارة النقاش حول دوافع هذا المعمار، اهو يختبر بنفسه ولها ام يدعونا الى الاختبار؟

دأبت «عمارة» ان تتناول مادة «دار ودار» موضوعا لمقارنات معمارية بين دارين مصممين من قبل معماريين مختلفين يميزهما نوعية التعامل مع عنصر (او عناصر) تكوينية معينة ومؤولة بتاويلات خاصة وفقا لمنهجية هذين المعماريين. على اننا سوف نتناول في هذا الركن شيئا مخالفا مختارين، هذه المرة ، دارين مصممين من قبل معمار واحد يفصل بين تصميمها وتنفيذها زمن طويل.

وقد تمثل نوعية ملكية هذين الدارين باعثا مضافا في اهمية التركيز عليهما، اذ انهما مصممان، اصلا، كداري سكن لعائلة المعمار نفسه، فضلا عن ان المعمار المختار له باع مشهود في الاضافات التصميمية المتسمة بتميز الطرح التصميمي واستثنائيته احيانا والزاخر بنكهة الثقافات الواسعة والمتنوعة التي يمتلكها.

تثير، عادة، الدور المصممة لسكن المعماري نفسه اهتماما خاصا، ذلك لان فرادة الحدث النابعة عن التحام رب العمل والمصمم في شخص واحد، تتيح معرفة تامة ومطلقة لطبيعة المتطلبات التصميمية من جهة، ومن جهة اخرى فان هذا الحدث يعطي المعمار امكانية اسقاط حاجز النزوات المتغيرة والمفاجاة

التي تتسم بها رغبات اكثرية ارباب العمل والتي تحول دون اكتمال وضوح الفكرة التصميمية وعرقلتها، بالاضافة الى منح المصمم لنفسه القدرة على تغير «مسلمات» اعراف العيش المألوفة والسعي نحو تجاوزها وفق مفاهيمه ومنظوره الخاصين.

ابتداءً، يمكن تلمس امور عديدة مشتركة تسم تكويني الدارين: الاول – دار المنصور، والثاني.. دار الصليخ، كما ان هناك عناصر متباينة ومختلفة رافقت القرارات التصميمية للدارين، وهو أمر طبيعي وشرعي في ان، نظرا لتفاوت الفترة الزمنية التي تفصل تاريخ تصميمها، وما لازمها من زيادة في نبرة المعمار المهنية وكذلك ما افرزته هذه الفترة من تغير في التوجهات المعمارية سواء على الصعيد الشخصي او في مجال عمومية التنظير المعماري.

قد يبدو امرا مفروعا منه ولع المعمار في تأكيد تعاطفه مع «الطابوق»؛ اذ يجعل منه مادة رئيسية لكلا الدارين، كما ان اسلوب تعامله به لا يقتصر على النواحي الانشائية البحتة بل وظفه، ايضا، لجهة الاحرازات الجمالية. وسيان لديه استعمالات الطابوق في الواجهة او حضورة التام في «ثيمة» معالجات جدران التصميم الداخلي .

وثمة أمر مشترك اخر يمكن ان نتلمسه في نوعية القرارات التصميمية لكلا الدارين، واعني به اهتمام المعمار في تثبيت الاحساس بالهندسة المنتظمة في التكوين، والتي في النتيجة هي التي تقرر خاصية صياغة مخططات البيتين وتحديد كتلتيهما.

فمخطط «دار المنصور» عبارة عن مستطيل منشأ من تجميع مربعين منتظمين يقسمهما بالتساوي خط جداري في الوسط. كما تفصح هذه الهندسية عن نفسها بقوة في «دار الصليخ»؛ فلم يكتف المصمم في تحقيق المخطط على شكل مربع منتظم حسب؛ وانما عكس ضلعه في البعد الثالث ليجدد به الارتفاع الكلي للدار ذات الطوابق الثلاثة، خالقا بذلك كتلة مكعبة، توحي باصرار المعمار على تأكيد

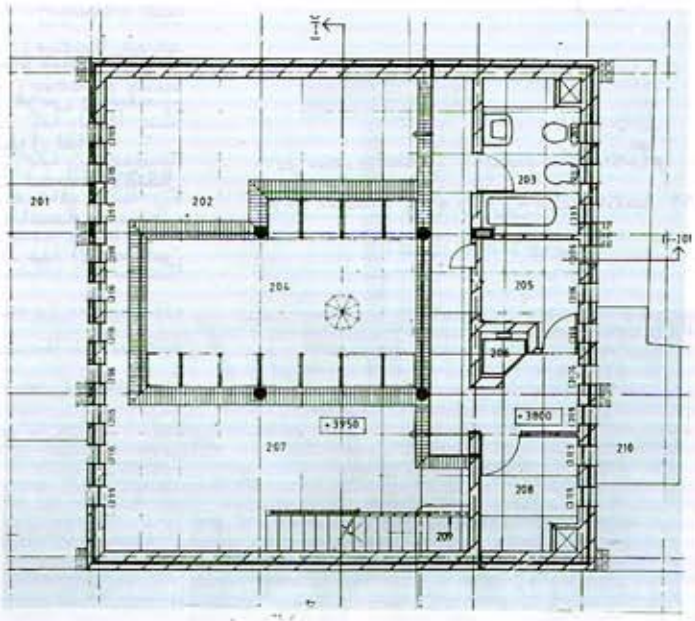

– دار سكن في الصليخ
– المعمار: معاذ الالوسي
– تاريخ التصميم ١٩٨٤
– تاريخ انتهاء التنفيذ ٨٨
– المالك : معاذ الالوسي

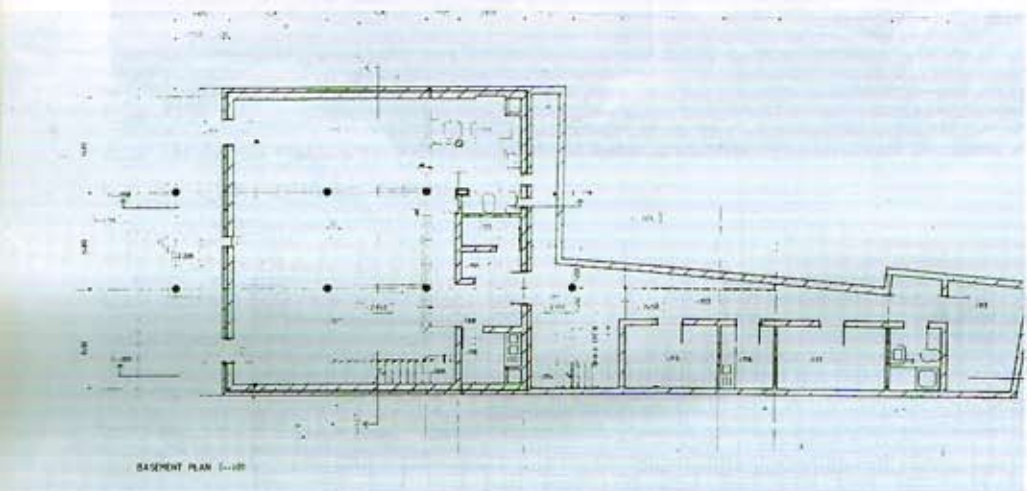

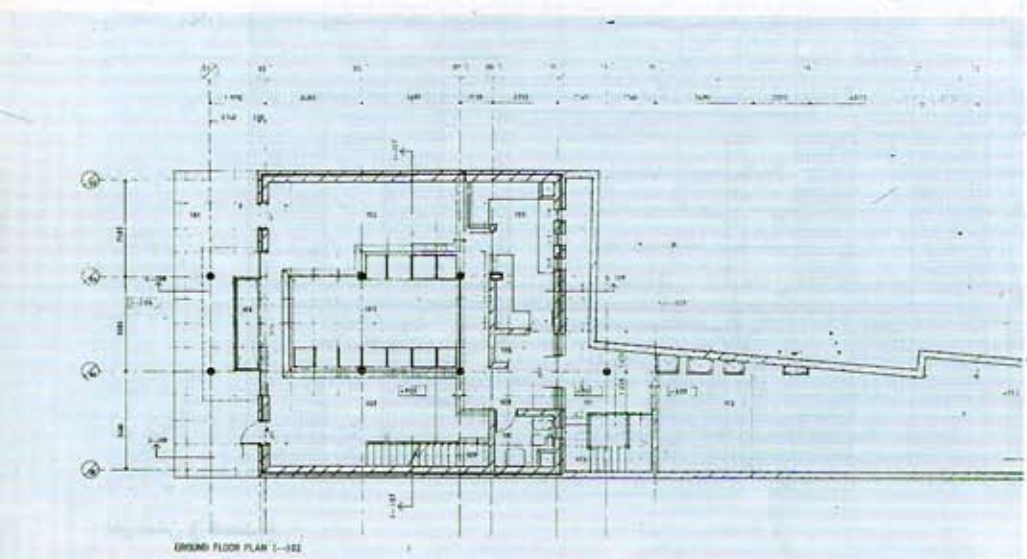

«جنيه» الهندسي.

مرة قال « لى كوربوزيه» بان «الالهة والهندسة يتربعان على عرش واحد»...

فماذا يريد «معاذ» ان يقول لنا ؟!

يعتمد اسلوب تقطيعات مخطط الاشكال الهندسية للدارين على خاصية ما يسمى «بالفضاء المنساب». واذ بدا الاحساس بهذه الخاصية في «المنصور» بصيغة خجولة، فانها غدت في «الصليخ» اساس التكوين المعماري «وضربته»!!

صحيح، ان المعمار في «المنصور» يتوق لاشعارنا بحضور «الفضاء المنساب»! بيد ان هذا التوق يتوقف عند رسمه للمخطط المتقشف فقط، والذي تذكرنا طريقة توزيع فراغاته باختزالية «ميس فان دير رو» القاسية (تلك الاختزالية التي تجسدت بصورة صارخة في جناحه «البرشلوني» سنة ١٩٢٩). ذلك لان «معاذ» لاسباب وظيفية بحته لم يكن بمقدوره وقتئذ، الجري وراء نزوات هذه الخاصية والتعايش مع تبعاتها، في حين تتملكه جرأة «غاشمة» في تصعيد الشعور بهذه الخاصية في دار «الصليخ»، الامر الذي نجم عنها تلك الانفتاحية «العارية» التي تسم جميع فراغات البيت السكني وغرفه، بل ان المصمم يسعى عبر التركيز على هذه الخاصية لاسقاط المفاهيم المالوفة والمسلم بها من ذاكرتنا لتصورات «الحجرة» المنزلية وخصوصيتها!!

ويبقى الاهتمام بمفهوم الفضاء المنساب الموظف في كلا الدارين، يجسد بحد ذاته احد مخلفات مفاهيم «العمارة الحديثة» التي يرغب المعمار في تجاوز نهجها قسرا في بيت «الصليخ» من خلال تكثيف الاحساس بطليعية الاسلوب التصميمي الذي يطمح اليه وفق معايير عمارة ما يسمى «ما بعد الحداثة».

ولعل هذه الرغبة هي التي تفسر لنا قصدية مغزى نوعية التعامل التي اجريت على واجهتي بيت «الصليخ» الامامية والخلفية، اذ ان اسلوب معالجة هاتين الواجهتين حمل لنا جميع رموز وطروحات «ما بعد الحداثة»، لكن بصيغتها «الستائرية» المسطحة والخالية من العمق التكويني، من هنا نشا في اعتقادنا ذلك التناقض المبهم الذي يسم تكوين بيت «الصليخ» والذي لم يستطع المعمار تجاوزه رغم تشبثه بآلية فصح الاعمال الحديدية وصراحتها في خلق «موتيف» الانشاء المكشوف والتاكيد على «بروتالية» مناخ التصميم الداخلي.

- دار سكن في المنصور - المعمار معاذ الالوسي
- تاريخ التصميم ١٩٦٧ تاريخ انتهاء التنفيذ ١٩٦٩
- المالك: معاذ الالوسي

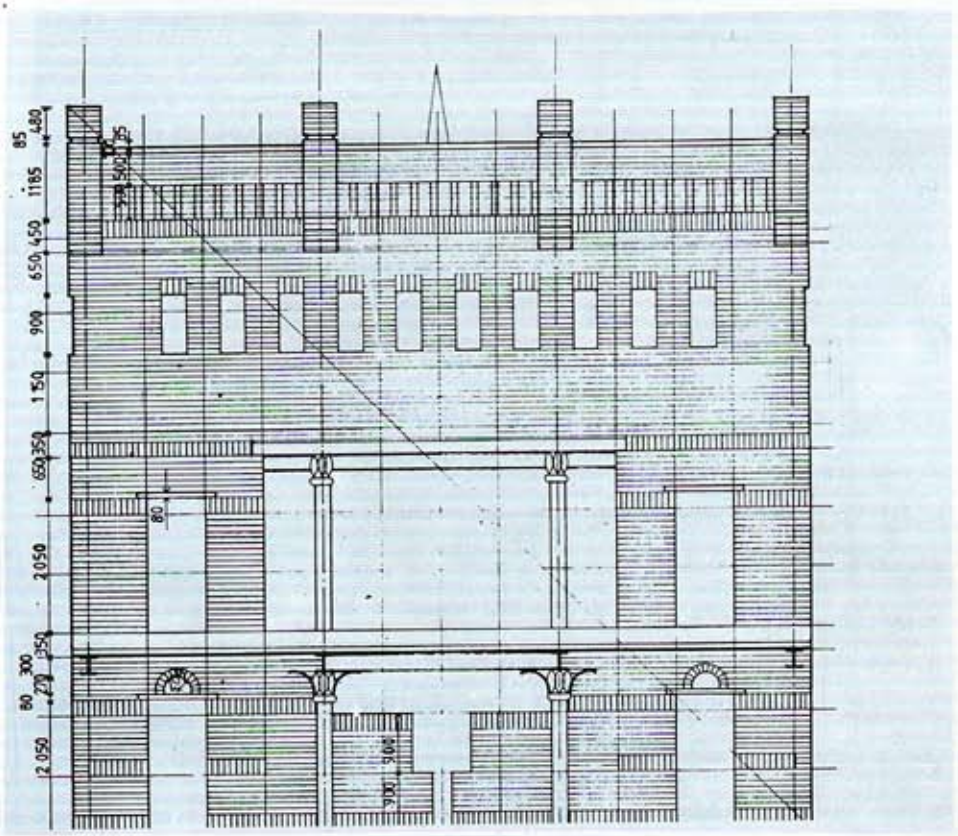

دار سكن في الصليخ

في بيت «المنصور» تبدو الامور هناك، اكثر هدوءا وانسجاما وربما عقلانية ذلك لان المعمار استقى جميع طروحات معالجاته التصميمية من نبع واحد ولعل من هنا نجمت تلك الالفة «البيتية» المحببة التي تكتنف فضاءات وواجهات بيت المنصور رغم حدة اسلوبية التقطيعات الداخلية وصرامتها...

ويتعين علينا جراء اصرار المعمار على توظيف منهجين مختلفين قي تكوين بيت «الصليخ» ان نتساءل: هل حقا، بمقدور «الالوسي» ان يجمع صيفا وشتاء على سطح واحد؟!!

يتراءى للمتلقي ان المعمار مولع بطريقة «العقادة» الاجرية Jack Arching في التسقيف، تلك الطريقة الشائعة في تسقيف البيوت البغدادية والتي وصلت اوجها في بيوت الثلاثينيات؛ ففي بيت «المنصور» لا يشعر المصمم بضير ما جراء اشكال الاقبية المنحنية لسقوفه داخل فضاءات البيت؛ كما انه استثمر هناك امتدادات «العقادة» نحو الخارج ليخلق بها اساس «لحن» الواجهتين الامامية والخلفية؛ في حين تقتصر في «الصليخ» استعمالات العقادة على فضاءات القسم الداخلي فقط من دون نيه لمحاولة تاكيدها في الخارج، فالمصمم مقتنع بان واجهاته ترى بصورة امثل من الداخل عبر الاخدود الفضائي الذي حفره بعمق المبنى كله.

وسواء كانت بواعث الحاح المعمار على استعمال هذا النوع من التسقيف بسبب الضائقة المالية التي روج لها «والتي نشك في تقبلها» او بسبب «نوستالجية» الحنين لاشكال البيت البغدادي الذي يكن المصمم له تقدير خاص؛ او لاختفاء التجانس والهرمونية والانسجام بين مواد سطوح وتسقيف عناصر الفضاء الذي حصره، فان المعمار في جميع الحالات تعامل بالفة حميمية وتعاطف ظاهر مع مادته المحببة – الطابوق.

ولئن كان اسلوب رصف الآجر في بيت المنصور قد اعطى شعورا «بروتاليا» واضحا فان هذه الطريقة، امست، في بيت الصليخ، اكثر رهافة ودقة وحذاقة؛

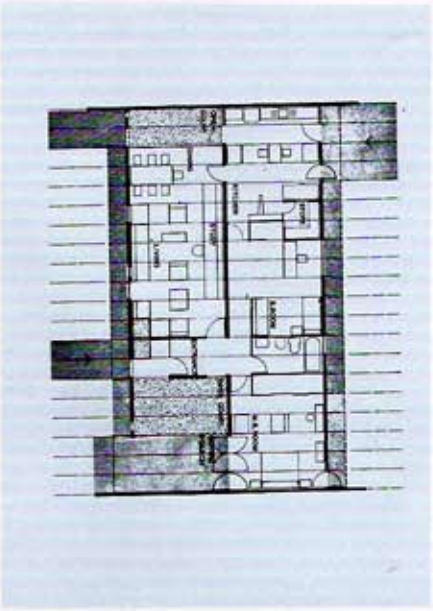

دار سكن في المنصور

بل ان المصمم هنا يعتمد لقوة تاثير واجهاته ليس على تنظيم نوعية الفتحات وتباين توقيعها على الجدار – الواجهة، بقدر ما يعتمد على ما يمكن ان يحرزه الاسلوب المؤثر ذو الفنية العالية لطريقة تشغيل رصف الطابوق باقصى حالاته تعبيرية.

في كلا الدارين يظل «معاذ الالوسي» امينا لثقافته الرفيعة؛ مانحا بتقصد مساحات سطوح التصميم الداخلي لنتاجات اصدقائه الرسامين، فاللوحات الفنية ذات الالوان المختلفة المثبتة على خلفية بيضاء تغني عناصر الفضاء الداخلي وتهبه نكهة فنية خاصة.

في بيت المنصور نشعر باضافة اخرى للفضاء الداخلي نابعة عن كثافة المزروعات التي حددت اماكنها وفق قرار تصميمي مسبق.

ثمة أمر أخير ينبغي ان يقال عن تكوين بيت «الصليخ» فالمعمار مسكون برغبة عارمة للحصول على كتلة لتكويناته تتسم بالحضور التام للهندسة كما اشير انفا، لكن المصمم يرغب في بيت الصليخ ان تكون «هندسيته» باعلى قدر من النقاء والصفاء والتجريد؛ من هنا يمكن ادراك مغزى العزل القسري بين الفضاءات «الخادمة» والفضاءات «المخدومة» (وفقا لتعبير لويس كان). فالفضاءات الخدمية في «الصليخ» تم تجميعها في شريط منفصل عن جسم الكتلة الرئيسية؛ الامر الذي اتاح له امكانية نحت فضاءات الاخيرة وفق ما يتوق؛ ويرتقي بها لمستوى ذلك المنسوب العالي من النقاء والصراحة المباشرتين، بيد انه جراء هذا القرار التصميمي احدث شرخا عميقا في مفهومية «الدار» السكنية المنطوية عادة على وجود فضاءات عديدة ذات علاقات وظيفية وحركية متشابكة ومتداخلة فيما بينها؛ الامر الذي عمل على فقدان فضاءات دار «الصليخ» لاسرارها وابعدها عن الاحساس بالالفة المنزلية وقرب ادراكها كفضاءات «عمل» بكل ما يترتب عن ذلك من صراحة في تعبيريه الكتل ومباشرتها وأحيانا صرامتها.

وكنتيجة لذلك فان تساؤلا مشروعا وحتميا ينبغي ان يطرح في هذه الحالة

وهو: هل اراد «معاذ» من بيت «الصليخ» ان يكون «محترفا» لهواياته المتعددة؟!

هل سعى ليشعرنا عبر هيئة التكوين الفضائي المميزة والتي تعطى تداعيات تكوينية معينة بانه اضحى اسطه الدار الحقيقي والواقعي

هل اراد «معاذ» في تساؤل اخير ان يكون بيت الصليخ «معتكفا» مشغلا ومسكنا في ان، معبرا، في جرأة تصميمية نادرة، وغير مألوفة، عن رفض مطلق لجملة من التجاوزات وشعور التغاضي المتعمد اللتان رافقتا مسيرته المهنية؟!

ان جميع اجابات هذه التساؤلات تكمن في «قلب» التكوين، وربما في ذهن ..... المعماري!!

خ . س